

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس (١٤) : الحديث الشريف : إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

انعكاس الرحمة لينا في التعامل مع الناس :

الحديث الشريف اليوم عن الديلمي رواه أبو بكر رضي الله عنه يقول عليه الصلاة والسلام :

((إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي))

[الديلمي عن أبي بكر]

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، لكن الآية الدقيقة التي هي أصل في هذا الموضوع هي قوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١٥٩]

البناء في فيما باء السبب ، أي بسبب رحمة استقرت في قلبك يا محمد ، من خلال اتصالك بنا ، كنت لينا لهم ، هذه الرحمة انعكست لينا في تعاملك معهم ،



ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

هذا اللين الذي ظهر منك دعاهم إلى أن يلتفتوا حولك .

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١٥٩]



هناك شرح ولو كنت منقطعاً عنا لامتلاً
القلب قسوة ، ولانعكست القسوة غلظة
وفظاظة عندئذٍ ينفض الناس عنك ، من
يحتاج هذه المعاني ؟ الأب ، الأم ،
الأخ الأكبر ، رئيس الدائرة، أي منصب
قيادي في الأرض ، من أقل منصب إلى
أعلى منصب ، يحتاج هذا القانون،
حينما تتصل بالله يمتلئ القلب رحمةً ،
هذه الرحمة تتعكس لينا ، هذا اللين

يسبب أن يلتف الناس حولك ، هذا الشيء يتمناه الأب ، والأم ، ورئيس الدائرة ، والمعلم ، والمدرس ،
وأستاذ الجامعة ، ويتمناه أعلى منصب قيادي في البلد .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾

أخواننا الكرام :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾

من خلال اتصالك بنا ، امتلاً قلبك رحمة ، هذه الرحمة انعكست لينا ، هذا اللين سبب التفاف الناس
حولك ، وهذا الموقف يتمناه أي إنسان في الأرض له منصب قيادي ، الأب له منصب قيادي ،
المعلم في الصف ، أستاذ الجامعة ، رئيس الدائرة ، وأعلى منصب في البلد .

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ مِنْ حَوْلِكَ ﴾

بطولة الإنسان التكيف مع القوانين و التوافق معها :

الشيء الدقيق قال :

﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ ﴾

في الأمر ﴿

[سورة آل عمران الآية : ١٥٩]

فأنا أقول : كل إنسان أحد أسباب

سعادته أن يلتف من يلوذ به حوله ، هذا

الالتفاف له سبب ، وله قانون ، والعبد

الفقير ألقى دروساً جديدة جداً في الشام

حول قوانين القرآن ، يمكن أن تستنبط

من القرآن مئات القوانين ، القانون فيه مقدمات و نتائج حتمية ، القانون بين المقدمة والنتيجة علاقة

2



الذكاء كل الذكاء في معرفة القوانين الإلهية والتكيف معها

الحديث الشريف : إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي .

علمية ، فهناك قوانين كثيرة ، بطولتك ، وذكائك ، وتوفيقك ، ونجاحك ، وفلاحك أن تكتشف هذه القوانين ، وأن تتوافق معها ، فالذكاء كله في التكيف ، والتكيف مع هذه القوانين . إذا إنسان ألقى بنفسه من الطائرة ، ورأى أن قانون السقوط قانون قديم ، وتقليدي ، ورجعي ، فلم يفتح المظلة ، ينزل ميتاً ، أي أنت اقتنعت أم لم تفتتخ ، أعجبك أو لم يعجبك ، عدم اقتناعك ، وعدم ترحيبك بهذا القانون ، لا يلغي مفعوله ، هذا القانون نافذ بك شئت أم أبيت ، من هو المظلي ؟ الذي يخضع لقانون السقوط ، لابد من مساحة كبيرة جداً تقاوم الهواء ، هذه المقاومة يصبح بموجبها السقوط بطيئاً و هذا الذي ينجي المظلي .

قانون الالتفاف والانفضاض يحتاجه كل إنسان من دون استثناء :



فلذلك أيها الأخوة ؛ قانون الالتفاف والانفضاض هذا القانون يحتاجه كل إنسان من دون استثناء . أحياناً في البيت خادمة ، وهناك بنت ، إذا البنت استيقظت في ساعة متأخرة ، المسكينة تعبانة ، والخادمة إذا استيقظت في ساعة متأخرة تقوم عليها الدنيا ولا تقعد ، هذا استخدام مكيالين أنا والله لا أصدق أن مؤمناً يستخدم مكيالين ، أحياناً الكنة

تعامل في البيت غير معاملة البنت . مرة كنت بمحل ، الابن حمل توباً ، قال له والده : إياك يا بني ظهرك ، رحمة بالابن ، عنده موظف ، حمله أول توب ، والثاني ، والثالث ، والرابع ، لم يعد يستطيع التحمل ، قال له : أنت شاب ، لماذا هذا الكيل بمكيالين ؟ إنسان أحضر لزوجته غسالة أوتوماتيك ، الأم أقامت الدنيا عليه ، و عندما صهرها أحضر لابنتها غسالة ، رضيت عنه

ما هذه المواقف ؟ عندما تتناقض مواقفك سقطت من عين الله، يجب أن تكيل بمكيال واحد ، حتى أنا والله أقول: الذي عنده خادمة - لعلكم لا تقبلون هذا الكلام - إن لم يعاملها كابنته سيحاسبه الله ، قطعت عشرة آلاف كيلو متر ، وعندها أولاد لتعمل ، وهناك أناس



يطعمونها الطعام القديم يكون هناك طبخ جيد شهبي ، يقولون لها : كلي هذا ، الله كبير . الإنسان حينما لا يدخل الله عز وجل في حساباته ، يتلقى ضربة قاصمة من الله ، والله عز وجل يريد منك أن تعامل كل من حولك بمقياس واحد ، بمكيال واحد ، أحياناً ترى أن حقوق الإنسان بالدول المتقدمة شيء مذهل . كنت بالدانمارك من فترة ، إنسان سوري مقيم هناك ، معه إقامة ، ومعه جنسية ، سافر لاسطنبول يبدو أنه تعرض لحادث ، خبّر حكومته ، فوراً جاءت سيارة أقلتته إلى المطار ، وأخذته إلى بلاده الدانمارك ، ثم أعطوه شيكاً بقيمة التذاكر التي دفعها ليزور اسطنبول للاستجمام ولم يتح له هذا، هكذا يعاملون الناس .

العقل و الموفق من يدخل الله جلّ جلاله في حساباته :

أحد العلماء يقول : إن الله ينصر الأمة الكافرة العادلة على الأمة المسلمة الظالمة . ولابن تيمية نص دقيق قال : " الدنيا تصلح بالكفر والعدل ، ولا تصلح بالإيمان والظلم" . الأصل العدل ، تجد عندنا حق الفيتو ، هذا حق عنصرى ، خمس دول إن قالت : لا ، التغي القرار



أحياناً هناك ظلم ببلاد العقل لا يصدقه، ممنوع أن نستصدر قراراً من مجلس الأمن ، لأن هناك دولة رفعت حق الفيتو فالتغى القرار ، ثلاث سنوات يموت الناس بالمئات كل يوم ، لكن لو التجئنا إلى مجلس الأمن ، لا يوجد حق الفيتو ، هذه مشكلة ، إذاً حق الفيتو عنصرى ما قولكم ؟ مثلاً : أنت بسهرة تتكلم عن أم زوجتك ، كل السهرة سخرية

، وإن تكلمت عن أمك كلمة تقيم عليها الدنيا ، معنى هذا أنك عنصرى . أخواننا الكرام ؛ ما دام هناك عنصرية في الأرض الحروب لن تتوقف ، أنت عندما تتصور أن لك ما ليس لغيرك ، أنت عنصرى ، وعندما تتصور أن على غيرك ما ليس عليك فأنت عنصرى أيضاً ، حينما تكيل بمكيال واحد أنت إنساني ، والله هناك آلاف آلاف الأخطاء التي يرتكبها المسلمون بظن منهم أنها ذكاء ، أو شطارة ، أو نجاح بالعمل ، فالشيء الذي ترفضه أنت لا تفعله مع الآخرين ، هذا الذي يرفع قدرك عند الله ، بعض الشعراء قالوا :

قتل امرئ في بلدة جريمة لا تغتفر وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر

مرة مسؤول كبير في العالم الغربي جاء للمنطقة من أجل أسير واحد اسرائيلي ، ولنا عند اليهود أحد عشر ألفاً وثمانمئة أسير لم يتكلم من أجلهم إطلاقاً . هناك مكيالان بالحياة ، ما دام هناك مكيالان إذاً لا يوجد سلم ، ولا استقرار ، هذه قضية دقيقة جداً ، أنا أقول : إذا لم تتمكن أن تصلح الجميع أصلح نفسك ، أنت ممكن أن تقيم الإسلام في بيتك ،



أقم الإسلام في نفسك وفي بيتك وعمك

وفي عمك ، وتنتهي هنا مسؤوليتك ، أن تقيمه في نفسك أولاً ، وفي بيتك ثانياً ، وفي عمك ثالثاً والله كبير ، والله الذي لا إله إلا هو هذه كلمة الله كبير أستطيع الحديث عنها عشر ساعات . لو فرضنا نقطة دم كرأس الدبوس تجمدت في أحد أوعية الدماغ بمكان شلل ، بمكان فقد ذاكرة ، بمكان فقد بصر ، مهما كنت عظيماً ، مهما كنت قوياً ، مهما كنت متمكناً ، نقطة دم أقل من رأس دبوس إذا وقفت وتجمدت في أحد أوعية الدماغ انتهيت ، يقول لك : سكتة دماغية، خثرة بالدماغ ، سكتة بالقلب ، هذا الإنسان بثنائية ينتهي ، على الإنسان ألا يقول : أنا ، يقول : أنا قائم بلطف الله . لذلك من أدق الأدعية التي قرأتها عن رسول الله كلمتان : " اللهم إنا بك وإليك ، قائم بك " فالإنسان منوطة طموحاته ، ومكاته ، وهيمنته ، على سيولة الدم في أوعيته ، منوطة هيمنتته ، وقوته ، وسيطرته ، وتحكمه على نمو خلاياه ، ولحكمة بالغة بالغة بالغة حتى الآن الورم الخبيث يتحدى العالم كله ، ليس له قاعدة ، يصيب الصغار والكبار ، والأقوياء والضعفاء ، والأغنياء والفقراء ، لذلك من أدعية رسول الله :

((اللهم إنا نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء))



لقى الله محبة موسى في قلب امرأة فرعون فكان من أنهى ملك فرعون

فكلما أدخلت الله جل جلاله في حساباتك كنت عاقلاً ، كنت نكياً ، كنت موفقاً . الإله العظيم يرى ماذا تفعل ، وهناك حسابات كثيرة ، والخيارات عند الله لا تعد ولا تحصى ، أحياناً يلقي في روع من حولك محبتك .

﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾

[سورة طه الآية : ٣٩]

فرعون أراد أن يقتل أبناء بني إسرائيل جميعاً ، هذا الذي سينيح حكمه رياه في قصره شيء عجب !! الله عز وجل ألقى على هذا الغلام الصغير محبة امرأة فرعون .

﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾

[سورة القصص الآية : ٩]

الله أمره نافذ .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة يوسف الآية : ٢١]

أنا أقول : أي إنسان لا يدخل الله في حساباته يعد من أغبي الأغباء ، قبل أن تقول كلمة ، قبل أن تبتم ، قبل أن تأمر ، قبل أن تصل ، قبل أن تقطع . مرة لي أستاذ في التعليم الثانوي ، ذكر لنا قصة ، له عمة يحبها حباً يفوق حدّ الخيال، رآها بعد أن ماتت تشتعل ، أقسم بالله بقي يراها هكذا ثماني سنوات ، ثم رآها في هيئة لطيفة وجهها منير ، سألتها ما القصة ؟ قالت له : الحليب ، سألت ، بحث ، دقق ، وجد عندها أولاد زوج ، وعندها أولاد ، ابن زوجها تشربه نصف الكأس حليباً ونصفها ماء ، وابنها كل الكأس حليب ، والله شيء مخيف ، الله كبير .

ارتباط نكاه الإنسان و نجاحه بطاعة الله :

أيها الأخوة الكرام أقول : نكاؤك ، سياستك ، توفيقك ، نجاحك ، عقلك ، منوط بطاعة الله .

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا

عَظِيمًا

[سورة الأحزاب الآية : ٧١]

إذا قال طفل عقب العيد لخاله : معي مبلغ عظيم ، كم مئة دينار فرضاً أو خمسين ؟ إذا قال مسؤول كبير

بالبنيناغون : أعدنا لحرب العراق مبلغاً عظيماً أنا أقدره بمئتي مليار ، إذا قال خالق الأكوان رب العالمين :

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء الآية : ١١٣]



طلب العلم فريضة على كل مسلم

معنى ذلك أن أعظم عطاء إلهي أن تعرفه ، إنك إن عرفته عرفت كل شيء ، وإن فانتك معرفته فانتك كل شيء . فلذلك طلب العلم فريضة على كل مسلم ، الجزء العلوي من الإنسان قوة إدراكية ، ما لم تلبَّ هذه القوة الإدراكية بالعلم هبط هذا الإنسان عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به .

والحمد لله رب العالمين